المنحـــة الوهبيـــة
فی رد الوهابیة

احمد بن محمد طحاوی

بسم الله الرحمن الرحیم

المنحة الوهبية فی رد الوهابية

کاتب:

طحاوی، احمد بن محمد

نشرت فی الطباعة:

موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البیت علیهم السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

المنحة الوهبية فى رد الوهابية

اشارة

نوع: کتاب

پدیدآور: طحاوی، احمد بن محمد۲۳۹؟-۳۲۱ق.

عنوان و شرح مسئولیت: المنحهٔ الوهبیهٔ فی رد الوهابیهٔ/ الطحطاوی؛ داوود بن السید سلیمان. ویلیها کتاب أشد الجهاد فی إبطال

ناشر: موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البیت (ع)

توصیف ظاهری: ۱ متن الکترونیکی: بایگانی HTML؛ داده های الکترونیکی (۳۸ بایگانی: 143.1KB)

موضوع: وهابیه

دفاعیه ها و ردیه ها

المقدمة

قال السيد العلامة أحمد الطحطاوى فى حاشية الدر ما نصه قال كثير من المفسرين إن المراد من الذين فرقوا دينهم أهل البدع والشبهات من هذه الأمة وروى عمر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله تعالى عنها إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أصحاب البدع وأصحاب الأهواء من هذه الأمة قال تعالى وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم أى الطرق المختلفة التى هى ما عدا طريقة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأهواء والبدع فتقعوا فى الضلالة وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قال بعض المفسرين المراد من حبل الله الجماعة لأنه عقبه بقوله ولا تفرقوا والمراد من الجماعة عند أهل العلم أهل الفقه والعلم ومن فارقهم قدر شبر وقع فى الضلالة وخرج عن نصرة الله تعالى ودخل فى النار لأن أهل الفقه والعلم هم المهتدون المتمسكون بسنة محمد عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين بعده ومن شذ عن جمهور أهل الفقه والعلم والسواد الأعظم فقد شذ فيما يدخله فى النار فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقة الناجية المسماة بأهل السنة والجماعة فإن نصرة الله وحفظه وتوفيقه فى موافقتهم وخذلانه وسخطه ومقته فى مخالفتهم وهذه الطائفة الناجية قد اجتمعت اليوم فى مذاهب أربعة وهم الحنفيون والمالكيون والشافعيون والحنبليون رحمهم الله ومن كان خارجا عن هذه الأربعة فى هذا الزمان فهو من أهل البدعة والنار ا ه قال فإن قلت ما وقوفك على أنك على صراط مستقيم وكل واحد من هذه الفرق يدعى أنه عليه قلت ليس ذلك بالادعاء والتشبث باستعمالهم الوهم القاصر والقول الزاعم بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة وعلماء أهل الحديث الذين جمعوا صحاح الأحاديث فى أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وأفعاله وحركاته وسكناته وأحوال الصحابة والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان مثل الإمام البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات المشهورين الذين اتفق أهل المشرق والمغرب على صحة ما أوردوه فى كتبهم من أمور النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم ثم بعد النقل بنظر إلى الذى تمسك بهديهم واقتفى أثرهم واهتدى بسيرهم فى الأصول والفروع فيحكم بأنه من الذين هم هم وهذا هو الفارق بين الحق والباطل والمميز بين من هو على صراط مستقيم وبين من هو على السبيل الذى على يمينه وشماله قال واختلف العلماء من السلف والخلف فى تكفير أهل الأهواء والبدع ولا شك أن من كان مذهبه وبدعته مؤديا إلى الكفر وهو غير متأول فيه فهو كافر الإجماع وأما من كان منهم فى مذهبه وبدعته على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضى إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفى صفات كمال مما لا يليق به سبحانه وتعالى اختلف السلف والخلف فى تكفيره فقال بعضهم أهل الأهواء كلهم كفار وهذا قول كثير من السلف والفقهاء والمتكلمين من الخلف ومنهم من صوب التكفير الذى قالوا به ومنهم من أبى إخراجهم من سواد المسلمين وهو أكثر الفقهاء

والمتكلمين فقالوا هم فساق عصاة ضلال ويورثهم من المسلمين ويحكم لهم بأحكامهم قال ابن الهمام فى شرح الهداية نعم يقع فى كلام أهل المذاهب تكفير كثير منهم ولكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء والمنقول عن المجتهدين عدم تكفيرهم ا ه وأما قوله عليه الصلاة والسلام (ابنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتى) يعنى أمة الإجابة المؤمنين به صلى الله عليه وسلم (على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا واحدة وهى ما أنا عليه وأصحابى) قال التور بشتى فى شرح المصابيح المراد من الأمة هنا من يجمعهم دائرة الدعوة من أهل القبلة لأنه أضافهم إلى نفسه فقال أمتى وأكثر ما ورد من الحديث على هذا الأسلوب المراد منه أهل القبلة والمعنى أنهم تفرقوا فرقا تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى وقوله كلهم فى النار إلا واحدة يعنى كلهم يفعلون ويعتقدون ما هو موجب دخول النار فإن كان كفرا وماتوا عليه دخلوا النار لا يخرجون منها أبدا وإن لم يكن كفرا فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم ثم يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة واستشكل ظاهر قوله عليه الصلاة والسلام كلهم فى النار بأنه إن أريد التأييد فيها لا يصح لأن من مات من أهل البدع على الإيمان فلا بد من دخول الجنة وإن أريد أن دخولهم محتم وإن كانوا يخرجون لا يصح لأن المؤمن العاصى فى مشيئة الله تعالى وإن أريد أنهم مستحقون لدخولها وهم فى المشيئة فعصاة أهل السنة كذلك فما وجه التخصيص وأجيب بأن التخصيص لشدة مؤاخذتهم بالعذاب فإن عذابهم فى النار يكون أشد عذابا من عصاة الفرقة الناجية لسوء اعتقادهم فى طريقة نبيهم وبأن الكل مجموعى لا جميعى أى مجموع هذه الفرق فى النار ومجموع هذه الفرقة فى الجنة ولا يلزم أن يكون كل الفرق فى النار ولا كل الفرقة فى الجنة من غير سابقة عذاب [صفحه ۱] المنحة الوهبية فى رد الوهابية جمع الفقير إلى ربه العلى القدير داوود بن السيد سليمان البغدادى النقشبندى الخالدى عفى الله عنه وعن أسلافه آمين ويليها كتاب أشد الجهاد فى إبطال دعوى الاجتهاد أيضا للعلامة المتقدم أعنى شيخ الإسلام الشيخ داوود عليه رحمة الودود م م م قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست يطلب من المكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ۵۷ استانبول - تركيا هجرى قمرى هجرى شمسى ميلادى ۱۴۰۶ - ۱۳۶۴ - ۱۹۸۶ (تنبيه) من أراد أن يطبع هذه الرسالة وحدها أو يترجمها إلى لغة أخرى فله من الله الأجر الجزيل ومنى الشكر الجميل وكذلك جميع كتبى كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح Hizmet Gazetecilik ve Matbaacrirk Limited Sirketi: Baskl (hat ۱۰) ۰۰ - ۱۸ - ۵۲۶: Tel. IST - Cagaloglu [صفحه ۲]

التوسل و التشفع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين أحمد الله الذى أذل البدعة وأهلها وأعز السنة ومن استأهلها فقيض لها فى كل زمان طايفة لا يضرها من خذ لها مصلطة سيوف الأدلة على من حرف الشريعة أو بدلها وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صاحب السنة السنية الدافع بصولته جيشان الأباطيل الخارجية وعلى آله الذين من نفاهم أو انتقصهم غرق وما نجى وعلى أصحابه الذين كل منهم باسنة هممهم للمارقين دجى أما بعد فيقول الفقير إلى مولاه داود بن السيد سليمان البغدادى قد ظهر فى زماننا أناس يخالفون أهل السنة والمذاهب فيضللون الأمة المحمدية ويستبيحون دمائهم وأموالهم فى شبهات خاب من هو إليها ذاهب فاستعنت الله على ردهم بهذه الورقات القليلة لعل الله يهديهم فتكون نعم الوسيلة اعلم أيها المؤمن أن المنكر للتوسل والتشفع من الأنبياء والأولياء من عباد الله الصالحين والاستغاثة بهم على طريق التسبب مما يقدره الله تعالى على أيديهم بنوع كرامة من الله تعالى أو بدعاء منهم لله فى دار برازخهم فى حصول خير من الله للطالب منهم تشفعا أو دفع شر إنما أتاه الإنكار من اعتقاده أن الميت إذا مات صار ترابا لا يسمع ولا يرى وليس له حياة برزخية فى قبره فهو يستغرب حينئذ الطلب منه على طريق الوسيلة والتسبب به كما يتسبب بالإحياء أهل الدنيا ولو كان معتقدا أن سائر أهل القبور أحياء حياة برزخية يعلمون بها ويعقلون ويسمعون ويرون ويعرفون من زارهم ومن سلم [صفحه ۳]

عالم القبر

عليهم ويردون السلام ويتزاورون بينهم ويتنعمون أو يعذبون وأن النعيم والعذاب على الروح والجسد وأن أعمال الأحياء تعرض عليهم فما رأوا من خير حمدوا الله واستبشروا ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات وإن رأو شرا دعوا الله لهم وقالوا اللهم راجع بهم إلى الطاعة واهدهم كما هديتنا وغير ذلک من أحوال أهل البرزخ لما وسعهم الإنكار فإن دار البرزخ هی نقلة من دار إلى دار وقد ثبت كل ما ذكرناه من هذه الأحوال بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأن من لم يعتقد ذلک فقد ترک من واجب الإيمان شيئا يجعله من المبتدعين الخارجين عن سنة سيد المرسلين وملتحق من بعض الوجوه بالكفار المنكرين فإن البعث بالقيام للمحشر من أركان الإيمان الذی يكفر منكره وإنكار حياة القبر للنعيم والعذاب إنكار للبعث الأصغر الذی هو أنموذج البعث على أن هذا الجاهل المنكر لما أجمعت عليه الأمة لو قلنا بموجب قوله إن أهل القبور تكون أجسادهم ترابا لا-يسمعون ولا-يرون ولا يعرفون ولا نعيم ولا عذاب للأجساد يقال له إذا ثبت ذلک للروح فاالمانع من أن الروح يثبت لها ما ذكرناه من الأحوال المتقدمة وأن التشفع والتوسل والطلب منها على طريق التسبب كطلب الشفاعة والدعاء ونحو ذلک وهی حية حياة دائمة لا تفنى كما عليه جميع أهل الملل فهی أيضا يمكن لها التسبب فيما يقدره الله تعالى على يدها ولما كان هذا الحال الذی هو سبب الإنكار صار حال أكثر الناس حتى ممن يدعی العلم وهو من جنس الجهال العوام لأنه فی زماننا يسمى الرجل عالما وهو ما عرف الأحاديث النبوية وتفسير الآيات القرآنية ولا اطلع على أقوال الصحابة والتابعين وآثارهم بل قصاری أمره أن يكون قراء بعض مقدمات فی العلوم فوقف عندها واشتهر عند الناس أن فلانا عالم أفندی فاكتفى بذلک فصار يقول العوام قال فلان العالم كذا وكذا وهو من عقله وبهذا ذهب العلم واتخذ الناس رؤسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا كما فی البخاری فوجب على من اطلع البيان فإن الناس بهذه الأحوال أقرب ما يكون إلى حال الجاهلية لأنهم إذا أنكروا نعيم القبر وعذابه وأنه على الروح والجسد على ما هو واجب الاعتقاد قال صاحب نظم الشيبانية (وأن عذاب القبر حق وأنه على الروح والجسم الذی فيه الحدا) أی ونعتقد أن عذاب القبر حق أی ونعيمه [صفحه ۴] فهو من باب الاكتفاء كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أی والبرد فالنعيم والعذاب على الروح والجسم وإن لم نره نحن لأنه من الإيمان بالغيب يحتمل أنه يجبرهم هذا على إنكار البعث الأكبر لأن الكل راجع إلى قدرة الله وهذا بالنسبة إلى العقل وأما بالنسبة إلى النقل فالآيات والأحاديث وأقوال سلف الأمة مطبقة على الأحوال التی ذكرناها سابقا لأهل البرزخ فإن كان الإنسان يجهلها فها نحن نذكرها أولا مفصلا بابا بابا ثم نتبع ذلک بالأحاديث الصحيحة الواردة فی التوسل والتشفع والطلب منهم للشفاعة على طريق التسبب لا أنهم الفاعلون استقلالا فإن هذا يعتقده أكثر الناس من الوهابية وغيرهم فی الأحياء لمشاهدتهم لأفعالهم وحركاتهم فلا يخطر ببال المتسبب بهم نسبة فعلهم إلى الله تعالى فيشركون إلا نادرا جدا وأما الأموات من الأنبياء والأولياء الأحياء عند ربهم فإن الناس يعلمون أنهم لا قدرة لهم إلا بالله تعالى وأن الله تعالى يسببهم بقدرة من عنده خارقة للعادة أو يفعل تعالى لأجلهم أو بجاههم وحرمتهم فالناس وإن نسبوا لهم الفعل فليس مرادهم الحقيقة بل المجاز والتسبب فاعلم ذلک وتحققه لتعلم أن ما باء به المنكرون نزغة شيطانية خارجه عن الدلايل العقلية والنقلية وبعض الناس يعتقد ما ذكرنا من أحوال أهل البرزخ لكن يغفل عن تسببهم وإكرام الله لهم بنوع الكرامة أو يفعل لأجلهم فيستبعد حصول التسبب منهم والتوسل بهم أو يدعی أن الطلب منهم وسؤالهم الشفاعة لم يرد فی الشرع وهؤلاء القسم أهون من القسم الأول فهو ناشئ إما من عدم اطلاعهم على الوارد أو من تعصبهم وعنادهم لأنهم يتحيزون إلى فئة أو شخص قال بذلک فهم يثابرون على إثبات قولها أو قوله ولو بالباطل أو عناد لمن يأتيهم بحق أو تكبرا عليه واحتقارا لشأنه وعند الله تتبين الحقايق وتبدو ذرات النيات والدقايق فعليک أيها الموفق بالإنصاف واترک العناد للحق والاعتساف لعلک تحظى بالمدد من الله تعالى والاسعاف

اثبات حياة الأنبياء

إثبات حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فی قبورهم وأنها حياة حقيقية قال الله تعالی ولا تحسب الذين قتلوا فی سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال العلماء فإذا أثبت هذا فی الشهداء وهم من سائر الأمة [صفحه ۵] فی كل زمان ولا شك أن الأنبياء أولی وأعلا علی أنهم قالوا ما من نبی إلا وقد رزق الشهادة وهذا ظاهر وأما قول الحلبی فی السيرة قد يقال إنه قد يكون فی المفضول ما لا يكون فی الفاضل فلا يلزم القياس فممنوع بأن ذلك ممكن فيما لم يرد به نص يوافق هذا القياس وقد ورد من الأحاديث الصحيحة المشفق عليها ما يوافق ذلك ففی البخاری أو مسلم مررت ليلة أسری بی علی موسی وهو قائم فی قبره يصلی وروی البيهقی وغيره بأسانيد صحيحة عند صلی الله عليه وسلم أنه قال الأنبياء أحياء فی قبورهم يصلون وورد أن الله حرم علی الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء وقد أطبق العلماء علی ذلك وورد فی الصحيحين أن الله بعث لنبينا جميع الأنبياء ليلة الإسراء فصلی بهم إماما ركعتين والصلاة ذات ركوع وسجود وهی تستدعی جسدا حيا كما قالوه فی صلاة موسی فی قبره قال فی المشكاة ناقلا عن الصحيحين وقد رأيتنی فی جماعة من الأنبياء فإذا موسی قائم يصلی فإذا هو رجل ضرب جعد يعنی شعره غير سبط كأنه من رجل شنؤة وهم قوم من الزط سمر اللون قال الشيخ علی القاری فی شرحه قلت قد سبق أنهم أی الأنبياء أحياء عند ربهم وأن الله حرم علی الأرض أن تأكل لحومهم ثم أجسادهم كأرواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم فی عالم الملك والملكوت علی وجه الكمال بقدرة ذی الجلال ومما يؤيد تشكيل الأنبياء وتصورهم علی وجه الجمع بين أجسادهم وأرواحهم قوله فی الحديث فإذا موسی قائم يصلی فإن حقيقة الصلاة وهی الإتيان بالأفعال المختلفة إنما يكون للأشباح لا للأرواح لا سيما وكالتصريح فی المعنی قوله فإذا موسی رجل ضرب نوع وسط من الرجال أو ضعيف اللحم علی ما فی النهاية جعد كأنه من رجال شنؤة ثم قال أيضا قلت وقد قدمنا أن الأنبياء لا يموتون كساير الأحياء بل نقلوا من دار الفناء إلی دار البقاء وقد ورد به الأحاديث والأنباء انتهی قال الإمام البيهقی فی كتاب الاعتقاد الأنبياء بعد ما قبضوا أردت إليهم أرواحهم فغيبوا عنا وإن كنا لا نراهم كالملائكة إلا لمن أكرمه الله تعالی بنوع كرامة وكذلك ذكر الإمام السيوطی وهو قول الإمام النووی والسبكی والقرطبی عن شيخه ونقله عنه ابن القيم الحنبلی فی كتاب الروح وابن حجر والرملی والقاضی زكريا وأكمل الدين الحنفی والشرنبلالی وابن أبی جمرة المالكی وتلميذه ابن الحاج [صفحه ۶] فی المدخل والشيخ إبراهيم اللقانی فی شرح جوهرة التوحيد وغيرهم وقد صح عن سعيد بن المسيب أنه فی وقعة الحرة لما خلی المسجد النبوی وتعطل عن الأذان والإمامة صار يسمع الأذان والإقامة من الحجرة الشريفة النبوية وذكره ابن تيمية فی كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وأن كثيرا منهم سمع رد السلام من قبره صلی الله عليه وسلم علی المسلمين فی كثير من الأوقات بل ثبت هذا من سائر الموتی كما سيأتی والحاصل أن حياة الأنبياء ثابتة الإجماع ولا يرد علی هذا ما ورد فی الحديث الصحيح ما من أحد يسلم علی إلا رد الله علی روحی حتی أرد عليه السلام فإنه بظاهره يقتضی أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف وأنها بالسلام ترد وأجاب عنه العلماء بأجوبة أوصلها السيوطی إلی سبعة عشر وجها أحسنها أنه صلی الله عليه وسلم يكون مستغرقا بمشاهدة حضرة القدس فيغنی عن إحساسه الشريف فإذا سلم المسلم عليه ترد روحه من ذلك الاستغراق إلی الإحساس لأجل المرد المذكور ونحن نری فی الدنيا بعض من هو مشغول البال بأمر من الأمور الدنيوية أو الأخروية ربما يتكلم أحد معه وهو لا يشعر بكلامه لاشتغال باله واستغراقه فكيف من هو مشغول بمشاهدة جمال ذی الجلال وقد اختلف العلماء فی رويته صلی الله عليه وسلم فی المنام واليقظة هل هو لذاته أو لمثاله بعد اتفاقهم علی حياته فی قبره فرجح الأكثر الأول للأحاديث الواردة الصحيحة كما فی البخاری من رآنی فی المنام فسيرانی فی اليقظة حتی قال النووی إن رؤياه فی المنام رؤية لحقيقة ذاته لقوله صلی الله عليه وسلم من رآنی فی المنام فقد رآنی حقا فإن الشيطان لا يتمثل بی ولو كانت الرؤية لمثاله لم يكن رآه حقا قال اللقانی فی شرح جوهرة التوحيد اتفق الحفاظ علی رؤيته صلی الله عليه وسلم يقظة و منا ما واختلفوا هل المرئ ذاته أو مثال يحكيها ذهب إلی الأول جماعات و إلی الثانی الغزالی والقرافی وجماعة ثم رجح الأول وممن قال بالأول أكثر من ثلاثين إماما من أكابر العلماء المحدثين وقد ذكرت عباراتهم فی رسالة فی هذه المسألة مخصوصة وحررت لكل واحد منهم فيها نصوصه [صفحه ۷]

سماع الموتی

ورؤيتهم وهـذا البـاب معقود لغير الأنبياء والشـهداء والأولياء أما الأولان فأحياء كما تقـدم يرزقون فرحين مستبشـرين وأما الأولياء فلأن سمـاعهم ورؤيتهم علی وجه الكرامـة وهی أمر خـارق للعـادة يجريه الله لعباده الصالحين وإنما نـذكر لک هـذا اللباب ليتضـح لک أن الأنبيـاء والأوليـاء والشـهداء أعلاـ وأسـمی ولكن إذا كـان سـائر النـاس ولو كفارا يثبت لهم ذلک تعلم ما باء به بعض الجهلـة من نفی السماع والرؤية عن الأنبياء لا سيما نبينا صلی الله عليه وسلم وعن الشهداء والأولياء روی البخاری أن الميت إذا دفن وتولی عنه أصحابه أنه ليسـمع قرع نعال المشيعين له إذا انصـرفوا عنه وفی الصحيحين عنه صلی الله عليه سلم من وجوه متعددة أنه أمر بقتلی بدر بعد أيام من موتهم فألقوا فی قليب ثم بعد أيام جاء حتی وقف عليهم وناداهم بأسـمائهم وأسـماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان إلی آخرهم هـل وجـدتم مـا وعـدكم ربكم حقا فإنی وجـدت ما وعـدنی ربی حقا فقال له عمر رضـی الله عنه يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا فقال والذی بعثنی بالحق ما أنتم بأسـمع منهم وفی رواية لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا وفی الصحيحين عنه صلی الله عليه وسـلم أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه قال النووی فی شـرح صحيح مسلم معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم وإلی هذا ذهب محمد بن جرير الطبری قال القاضـی عياض وهو أولی الأقوال واحتجوا فيه أن النبی صلی الله عليه وسلم زجر امرأة عن البكاء علی ابنها وقال إن أحـدكم إذا بكی اسـتعير له صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم انتهی فهذا النقل يدل علی أن الميت ولو من بعـد يسـمع بكاء أهله عليه فيوذيه ذلک ويعـذبه وقد شـرع النبی صـلی الله عليه وسـلم لأمته إذا سـلموا علی أهل القبور أن يسـلموا عليهم سـلام من يخاطبونه فيقول المسـلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلک لكان هذا الخطاب بمنزلـة خطاب المعدوم والجماد والسـلف مجمعون علی هذا وقد تواترت الآثار بأن الميت يعرف بزيارة الحی له ويستبشـر قال أبو بكر عبد الله بن أبی الدنيا فی كتاب القبور

معرفة الموتی بزيارة الأحياء

حـدثنا محمـد بن عون حـدثنا يحيی بن يمان عن عبد الله بن سـمعان عن زيد بن أسـلم عن عايشة رضـی الله عنها قالت قال رسول الله صلی الله عليه وسـلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا اسـتأنس [صـفحه ۸] به ورد عليه حتی يقوم حـدثنا محمـد بن قدامة الجوهری حـدثنا معن بن عيسـی القزاز أخبرنا هشام بن سـعد حدثنا زيد ابن أسـلم عن أبی هريرة رضـی الله عنه قال إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسـلم عليه رد عليه السـلام وعرفه وإذا مر بقبر لاـ يعرفه فسـلم عليه رد عليه عليه السـلام ذكر ذلک ابن القيم فی كتاب الروح ثم بعده ذكر آثارا كثيرة قال وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصـحابة ويكفی فی هذا تسـمية المسلم عليهم زايرا ولولا أنهم لا يشـعرون به لمـا صـح تسـميته زايرا فـإن المزور إذا لم يعلم بزيـارة من زاره لم يصـح أن يقـال زاره هـذا هو المعقول من الزيـارة عنـد جميع الأمم وكـذلک السـلام عليم فإن السـلام علی من لا يشـعر ولا يعلم بالمسـلم محال فهـذا السـلام والخطاب والنداء لموجود يسـمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسـمع المسـلم الرد وإذا صـلی الرجل قريبا منهم شاهـدوه وعلموا صـلاته وغبطوه علی ذلک قال يزيـد بن هارون أخبرنـا سـليمان التيمی عن أبی عثمـان النهـدی أن ابن سـاسب خرج فی جنازة فی يوم وعليه ثياب خفاف فانتهی إلی قبر قال فصـليت ركعتين ثم اتكأت فوالله إن قلبی ليقظان إذ سمعت صوتا من القبر إليک عنی لا تؤذينی فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولاـ نعمـل ولأـن يكون لی مثـل ركعتين أحب إلی من كـذا وكـذا فهـذا قـد علم باتكاء الرجل علی القبر وبصـلاته ثم ذكر علی هـذه المسألـة آثارا وأخبارا كثيرة ثم اعلم أن عايشـة أم المؤمنين أنكرت سـماع أهل القليب الكفار فظن بعض من لا علم عنده أنها أنكرت سماع الموتی مطلقا حتی المؤمنين بل جعله بعض الجهلة ساريا حتی علی الشـهداء وسـيد المرسـلين صـلی الله عليه وسـلم وذلک غفلة منهم عن تحرير محـل النزاع وتشبث منهم بمـا ليس لهم فيه انتفـاع فـإن إنكارها خاص بالكفار فقط ظنا منها أن السـماع الثابت بنصـه

صلى الله عليه وسلم لأهل القليب هو السماع المذكور فى الآيتين إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور وليس كذلك كما قاله أساطين العلماء لأن السماع المنفى فى الآيتين هو سماع القبول والاذعان للإيمان وقد شبه الله الكفار الأحياء الذين لهم أسماع وأبصار وعقول بالأموات لا من حيث انعدام الادراكات والحواس بل من حيث عدم قبولهم [صفحه ٩] الهدى والإيمان وذلك أن الميت من حين تصل روحه للغر غرة ويشاهد منزلته بشخوص بصره لمنزلته إلى الآخرة لا ينفعه الإيمان لو آمن فيقول الله تعالى إن الناس الذين كتب الله عليهم الشقاوة الأزلية لا ينفعهم دعاك لهم إلى الإيمان كما لا ينفع أهل القبور الإيمان لأن أهل القبور قد رأوا عيانا ما هو مطلوب منهم أن يؤمنوا بالغيب فإذا وصلوا إلى الموت لا يقبل منهم الإيمان فالسماع هنا هو القبول تقول فلان أمرته بكذا فما سمع أى ما قبل وإن كان سامعا بحاسة إذنه فكذلك الكفار نزلت الآيتان فيهم وهم أحياء لهم أبصار وأسماع لكن لكونه تعالى ختم على قلوبهم بالشقاء أخبر تعالى أنك يا محمد لا تسمعهم أى لا يقبلون منك الإيمان كما أن أهل القبور لا يقبل منهم الإيمان فالسماع الثابت فى الأحاديث الصحيحة سماع الحاسة والسماع المنفى فى الآيتين سماع القبول وهذا ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد والدليل على هذا أن الله تعالى بعد قوله إنك لا تسمع الموتى قال إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فأثبت للمؤمنين السماع الذى هو بمعنى القبول فمن جعل السماع المنفى فى الآية بمعنى سماع الحاسة قلنا له فقد أثبت الله على قولك للمؤمنين وهو مطلوبنا فيكون ثبوت السماع بنص القرآن فكيف تجحد نص القرآن كما جحدت نص الحديث الذى ما بعد كتاب الله أصح منه والدليل على أن عايشة إنما أنكرت سماع الكفار فقط ما ثبت عنها فى الحديث المتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم فهذا أثبت له الرؤية المستلزمة للاستيناس ورد السلام عليه المستلزم لسماع السلام وقوله حتى يقوم متعلق باستأنس على أن عايشة رضى الله عنها نفت السماع عن الكفار وأثبتت لهم العلم فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنهم الآن ليعلمون أن ما قلت حق وقال علماء الأمة إن العلم يستلزم السماع ولا ينافيه كما حققه ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والسيوطى وغيرهم لأن الموت لو كان عدما محضا كما يزعم الجهلة لانتفى عن الميت جميع الادراكات فإذا أثبتت عايشة العلم بالنص المروى عنها كما فى البخارى تحقق أنها تثبت الادراكات لكن ظنت أن السماع الذى أثبته الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سماع القبول والهدى وهو لا ينفع اتفاقا بل هو الحق الجامع [صفحه ١٠] بين أقوال الصحابة وقولها والجامع بين قولها فى روايتها حديث الزيارة فإن قلت فقد ذكر ابن الهمام فى شرح الهداية أن أكثر مشايخه الحنفية ذكروا فى باب الإيمان أن الميت لا يسمع لو حلف لا يكلمه فكلمه ميتا لا يحنث فقال المحقق شيخ على القارى الحنفى فى شرح المشكاة فى شرح حديث أهل القليب أقول هذا منهم مبنى على أن مبنى الإيمان على العرف فلا يلزم منه نفى حقيقة السماع كما قالوا فيمن حلف لا يأكل اللحم وأكل السمك مع أنه تعالى سماه لحما طريا أقول وهذا كذلك فإن من حلف لا يكلم زيدا وكان ميتا فكلمه لا يحنث لأن التكلم المراد منه المتعارف الذى يكون فيه محاورة بأخذ الكلام ورده ولما كان الميت يسمع ولا يرد ردا متعارفا بل ردا نؤمن به ولا نسمعه غالبا لم يحصل حقيقة التكلم العرفى فلهذا قالوا لا يحنث لا لأن الميت لا يسمع وهذا ظاهر قال ابن الهمام وأجابوا عن هذا الحديث يعنى حديث خطاب النبى صلى الله عليه وسلم لأهل القليب وقسمه بالله أن الأحياء ليسوا بأسمع منهم تارة بأنه مردود من عايشة قالت كيف يقول صلى الله عليه وسلم ذلك والله يقول وما أنت بمسمع من فى القبور إنك لا تسمع الموتى قال الشيخ على القارى والحديث المتفق عليه لا يصح أن يكون مردودا لا سيما ولا منافاة بينه وبين القرآن فإن المراد من الموتى الكفار والنفى منصب على نفى النفع لا على مطلق السمع كقوله تعالى صم بكم عمى فهم لا يعقلون يعنى مع كونهم لهم أسماع وأبصار لكن لكونهم لا يسمعون الإيمان والهدى ولا يرونه جعلهم الله كالصم والعمى أو على نفى الجواب المترتب على السماع قال البيضاوى فى قوله تعالى لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا مشاعرهم عن الحق إن الله يسمع من يشاء أى هدايته فيوفقهم لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بسمع من فى القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات ومبالغة فى إقناعهم (انتهى) فالآية من قبيل أنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ثم قال ابن الهمام وتارة بأن تلك خصوصية له صل الله عليه وسلم قال الشيخ على القارى ويرده أن الاختصاص لا

يصح إلا بدليل وهو مفقود هنا بل السؤال والجواب ينافيانه وقال ابن الهمام وتارة بأنه من ضرب المثل قال الشيخ على القارى ويدفعه جوابه [صفحه ۱۱] صل الله عليه وسلم ثم قال ابن الهمام ويشكل عليهم يعنى مشايخه خبر مسلم أن الميت ليسمع قرع نعال المشيعين إذا انصرفوا اللهم إلاـ أن يخصوا ذلك بأول الوضع فى القبر للسؤال جمعا بينه وبين الآيتين فإنهما يفيدان تحقق عدم سماعهم فإنه تعالى شبه الكفار بالموتى لإفادة بعدم سماعهم وهو نوع عدم سماع الموتى انتهى قال الشيخ على القارى وهو كما ترى فيه نوع نقض ووجهه أنه إذا حصل السماع لأهل القبور فى بعض الأحوال ثبت فى كلها إذ لا نص ينفى ذلك فى بقية الأحوال ثم بثبوت البعض ينتقض عموم الآيتين فتتناقض مع الأخبار الصحيحة على أن الحنفية قد أطبقوا على سنية السلام على أهل القبور فى كل وقت قال العلامة ابن ملك فى شرح المصابيح فى شرح حديث السلام على أهل القبور ما نصه ومما يرد على هذا البعض القائلين بعدم سماع الموتى ما ورد فى الحديث الذى أخرجه أحمد وأبو داود فى سننه والحاكم فى المستدرك وابن أبى شيبة فى المصنف والبيهقى فى كتاب عذاب القبر والطيالسى وعبد ابن حميد فى مسنديهما وهناد ابن السرى فى الزهد وابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى فتنة القبر والسؤال وفى آخر الحديث فى المؤمن يناد مناد من السماء صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذى يسرك فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى وما لى وفى الكافر عكس هذا فهذا يدل على أن الميت يسمع ويبصر ويشم ويتكلم ويعقل ويفهم ويخاطب ويراجع الخطاب وكل هذه أمور واقعة بعد السؤال وهى مما أجمع عليها العلماء وهذا حديث متواتر كما ذكره الإمام السيوطى وهذا يدل على أن السلام عليهم كهو على الإحياء وأنهم يسمعون انتهى وقال فى الفتاوى الهندية ولا بأس بزيارة القبور وهو قول أبى حنيفة وظاهر قول محمد يقتضى الجواز للنساء أيضا وفى التهذيب يستحب زيارة القبور وكيفية الزيارة كزيارة ذلك الميت فى حياته من القرب والبعد كذا فى خزانة المفتين [صفحه ۱۲] وإذا أراد زيارة القبور يخلع نعليه ثم يقف مستقبلا لوجه الميت مستدبرا للقبلة ويقول السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم لنا سلف ونحن بالأثر كذا فى الغرايب ولا بأس أن يقرأ على المقابر سورة الملك سواء أخفى أو جهر وأما غيرها فإنه يقرأ فى المقابر ولم يفرق بين الجهر والحفية كذا فى الذخيرة فى فضل قراءة القرآن عند القبور أن نومى أن يؤنسه صوت القرآن فإنه يقرأ وإن لم يقصد ذلك فإن الله يسمعه قراءة القرآن حيث كانت كذا فى فتاوى قاضى خان انتهى وفى البزازية قطع الحشيش الرطب من المقابر يكره لأنه يسبح ويندفع به العذاب عن الميت ويستأنس به الميت انتهى وكذا فى إمداد الفتاح للشرنبلالى وساير كتب الحنفية فإذا ثبت أن الميت يسمع تسبيح نحو الحشيش الذى لا يدرك للأحياء بنص الأئمة الذين هم عمدة أهل الفتوى كيف ينفى السماع عن صوت المنادى له بل مراد ذلك البعض منهم كما قال الشيخ على القارى أنها مبنية على المتعارف فذهب الإشكال ولم يلزم التناقض فى باب الإيمان فى أقوالهم وحصل الإيمان بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأخبار الصحيحة الثابتة وحصل الإجماع ولله الحمد على أنه لو فرضنا أن القائل بعدم السماع هو الإمام نفسه فهو قد ثبت عنه أنه قال كما قال غيره من الأئمة إذا صح الحديث فهو مذهبى بل المشهور من مذهبه الأخذ بالمرسل والضعيف اعتناء بشدة المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن المخالفة للأحاديث الصحيحة المستفيضة فهذا البغض من المشايخ يتبين عذره فلا يجوز لأحد أن يترك الحديث الصحيح الوارد عنه صلى الله عليه وسلم ويأخذ بقول غيره ولقد أحسن الحافظ الذهبى حيث يقول العلم قال الله قال رسوله++ إن صح والإجماع فاجهد فيه وحذار من نصب الخلاف جهالة++ بين الرسول وبين رأى فقيه وقد أطبق الأئمة الحنفية على سنية زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وزيارة صاحبيه رضى الله عنهما والسلام عليهم وطلب الشفاعة منهم فلو كانوا قائلين بعدم سماع مثل النبى والصاحبين لكان كلامهم متناقضا بل بقولهم بسنية زيارة القبور مطلقا يحصل التناقض لكن كما قال الشيخ على القارى إن كلامهم [صفحه ۱۳]

زيارة الأموات

فى باب الإيمان مبنى على المتعارف فارتفع الإشكال وزال التناقض (فائدة) قال ابن تيمية فى كتاب الانتصار للإمام أحمد رضى الله عنه وإنكار عايشة سماع أهل القليب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لا يكون معذورا مثلها لأن هذه المسألة صارت معلومة من الدين بالضرورة انتهى فيلزم من قوله هذا إن الذى ينكر سماع الكفار يكفر لأن جاحد المعلوم من الدين بالضرورة يكفر كما فى جميع كتب المذاهب على أن البعض الذى أنكر إنما هو فى حق الكفار كما قالته عايشة رضى الله عنها وأما النبى صلى الله عليه وسلم والشهداء وأولياء أمته فلم يقل أحد بإنكار سماعهم لا عايشة ولا غيرها وحينئذ تعلم سوء ما تجاهر به بعض الجهلة فى زماننا من إطلاق عدم السماع حتى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم والأمر لله الواحد القهار وقال ابن تيمية أيضا فى الفتاوى مسألة فى الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلم الأموات بزيارتهم وهل يعلمون يا الميت إذا مات من قرايبهم أو غيره أم لا الجواب نعم قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات كما روى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى قال إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير فى الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض انظروا أخاكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد قال فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت الحديث وأما علم الميت بالحى إذا زاره ففى حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام قال ابن عبد البر ثبت ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وصححه عبد الحق صاحب الأحكام وأما ما أخبر به الله من حياة الشهيد ورزقه وما جاء فى الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة قد ذهب طوايف إلى أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصحيح الذى عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دل على ذلك النصوص الثابتة واختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك لتزول الشبهة المانعة عن الإقدام على الجهاد والشهادة كما نهى عن قتل الأولاد خشية الاملاق لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز [صفحه ۱۴] مع عدم خشية الاملاق انتهى فهذا نص من شيخ هؤلاء الذين يزعمون أنهم متبعون له وهم أجهل الخلق بنصوصه ومقاصده أن سائر الأموات حياتهم كحياة الشهداء ورزقهم رزق الشهداء فكيف الذى يكون عيالا على أقواله يزعم شيئا يخالف أقواله فيجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع ولا يرى ولا يعلم ولا يعرف من زاره وناداه لكن هؤلاء غير متبعين لأحد بل هم متبعون هواهم وفقهم الله وهداهم أما نصوص رؤية الموتى للأحياء ففى البخارى ما من ميت إلا يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار والعرض يقتضى الرؤية لمقامه قال الله تعالى فى حق آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب فلو لم ير الميت لم يحصل فايدة من العرض وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار ما من ميت يموت إلا روحه فى يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك وأخرج ابن أبى الدنيا عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده وأنهم ليغسلونه ويكفنونه وأنه لينظر إليهم وفى الحديث الصحيح فى البخارى أن منكرا ونكيرا يقولان للميت بعد المسايلة انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به من الجنة فيراهما جميعا وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم رد عليه انتهى ففهم من هذا الحديث أن الميت يرى من يزوره ويقرب من قبره لأنه لو لم ير لما عرف من كان يعرف وما عرف من لا يعرفه فى الدنيا ففى الأول يرد عليه ويعرفه وفى الثانى يرد عليه السلام ولم يعرفه لأنه فى الدنيا ما كان يعرفه وأخرج أحمد والحاكم عن عائشة قالت كنت أدخل البيت فأضع ثوبى وأقول إنما هو أبى وزوجى فلما دفن عمر ما دخلته إلا أنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر وفى الأربعين الطائية روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال آنس ما يكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا فهذا يدل على رؤيته لمن يزوره وإلا فكيف يستأنس الميت بمن لم يره وفى صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أنه قال فى مرض موته إذا دفنتمونى فشنوا [صفحه ۱۵] على التراب شنا وأقيموا

عنـد قبری قـدر مـا تنحر جزور ويقسم لحمهـا أنس بكم وانظر مـاذا أراجع به رسـل ربی وفی هـذا الباب آثار كثيرة هـذه عمـدتها فلا يحتاج إلی الإطالـة ويـدل علی هـذا الباب باب عرض أعمال الأحياء علی الموتی فإنهم لو لم تكن لهم الرؤيـة لما صح عرض الأعمال عليهم لأن الظاهر أن المراد بعرضها عرض صحايفها التی تكتبها الحفظة من الملائكة وذلك يستدعی نظرا فلأجل هذه المناسبة أحببنا إرداف بـاب الرؤيـة ببـاب عرض الأعمـال علی الموتی (اعلم) أن هـذا البـاب أكثر النـاس لاـ يعلمه لعـدم اطلاـعهم علی السـنة النبوية والأحاديث المروية فی هذه القضـية وكان بعض من يدعی العلم فی زعمه وهو أجهل من هبنقه يقول كيف يعلم الأنبياء والأولياء بمن يستشـفع بهم ويناديهم فقلت له هم مكشوف لهم فی الـدنيا وهم علی ما هم عليه بعـد موتهم أو يكون ذلك علی وجه الكرامـة بخرق العـادة وهی ثابتـة لهم أو بعرض الأعمال الواردة فی الأحاديث فأنكر ذلك فأتيته بكتب الحـديث المصـنفة فی أحوال أهل القبور فلما رآها وكان لا يعرفها قال هـذا فی الأقارب فقط فقلت فی الأحاديث والآثار ما يـدل علی الأقارب والأجانب فعانـد حتی مات فها نذكر لك الوارد وليس علينا غير تصـحيح نقلنا فمن كان لا يصـغی له فهو جاحد فأما عرض الأعمال من الأمة علی رسول الله صـلی الله عليه وسـلم فروی البزاز بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن مسعود عنه صلی الله عليه وسلم قال حياتی خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتی خير لكم تعرض علی أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شـرا اسـتغفرت لكم روی مرفوعا وله طريق آخر مرسـلا عن بكر بن عبـد الله المزنی عن بن عبـاس وغيره وأمـا عرض الأعمـال علی الأقارب فأخرج أحمـد والحكيم الترمـذی فی نوادر الأـصول وابن منـده قـال قال رسول الله صـلی الله عليه وسـلم إن أعمالكم تعرض علی أقاربكم وعشايركم من الأموات فإن رأوا خيرا استبشـروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتی تهـديهم كما هـديتنا وأخرج الطيالسـی فی مسـنده عن جابر بن عبد الله قـال قال رسول الله صـلی الله عليه وسـلم أن أعمالكم تعرض علی عشايركم وأقاربكم فی قبورهم فإن كان خيرا استبشـروا به وإن كان غير ذلـك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك وأخرج ابن أبی شـيبة فی المصـنف [صـفحه ۱۶] والحكيم الترمـذی وابن أبی الدنيا عن إبراهيم بن ميسـرة قال غزا أبو أيوب القسطنطينية فمر بقاص وهو يقول إذا عمل العبد العمل فی صدر النهار عرض علی معارفه إذا أمسـی من أهـل الآخرة وإذا عمل العمل فی آخر النهار عرض علی معارفه إذا أصـبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب انظر ما تقول قال والله إنه لكمـا أقول فقال أبو أيوب اللهم إنی أعوذ بك أن تفضـحنی عنـد عبادة ابن الصامت وسـعد بن عبادة بما عملت بعـدهم فقال القاص والله لا يكتب ولايته لعبـد إلا ستر عوراته وأثنی عليه بأحسن عمله وأخرج الحكيم الترمـذی فی نوادره من حـديث عبـد الغفور بن عبـد العزيز عن أبيه عن جـده قـال قـال رسول الله صـلی الله عليه وسـلم تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس علی الله وتعرض علی الأنبيـاء وعلی الأولياء والأمهات يوم الجمعـة فيفرحون بحسـناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشـراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم وأما عرض الأعمـال علی الأجـانب فـأخرج ابن المبـارك وابن أبی الـدنيا عن أبی أيوب قـال تعرض أعمالكم علی الموتی فإن رأوا حسـنا استبشـروا وإن رأوا سوءا قالوا اللهم راجع بهم وأخرج الحكيم الترمذی وابن أبی الدنيا والبيهقی فی شعب الإيمان عن النعمان بن بشير قـال سـمعت رسول الله صـلی الله عليه وسـلم يقول اتقوا الله فی إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم وهـذان الحـديثان عامان فی مطلق الموتی وعن أبی الدرداء قال إن أعمالكم تعرض علی موتاكم ينسرون ويساؤون ويدل علی ما قلنا من العموم ما ذكره ابن القيم فی كتابه الروح عن ابن أبی الـدنيا قال حـدثنی محمـد بن الحسـين حـدثنی خالـد بن عمرو الأموی حدثنا صدقة بن سـليمان الجعفری قال كانت لی شرة سمجة فمات أبی فأبت وندمت علی ما فرطت قال ثم زللت أيما زلة فرأيت أبی فی المنام فقال أی بنی ما كان أشد فرحی بك وأعمالك تعرض علينا فنشـبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة اسـتحييت لذلك حياء شـديدا فلا تخزنی فيمن حولی من الأموات قال فكنت أسـمعه بعـد ذلك يقول فی دعائه فی السـحر وكان لی جار بالكوفة أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا حور يـا مصـلح الصـالحين ويـا هـادی المضـلين ويـا أرحم الرحمين ففی هـذا الأثر دلالـة أن الموتی الأجانب يطلعون علی أعمال غير الأقارب [صفحه ۱۷] لأن الذی تعرض أعماله عليه هو أبوه فقال لولده لا تخزنی فيمن حولی من الأموات فلولا أنهم يطلعون معه علی عمل ابنه بالعرض لما قال ذلك وقـد تقـدم فی حـديث أيوب تعرض علی معارفه وهم الذين يعرفونه أعم من الأقارب وفی هذا القدر

كفاية لمن شرح الله صدده بالإيمان.

تزاور الموتى و تلاقيهم

أخرج الحارث ابن أبى أسامة والوايلى فى الإبانة والعقيلى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم وفى صحيح مسلم إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه يعنى لعلة التزاور والتباهى به وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتزاورون فى أكفانهم وأخرج الترمذى وابن ماجة ومحمد بن يحيى الهمدانى فى صحيحه وابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون فى قبورهم وقال ابن تيمية فى الفتاوى فى مواضع متعددة ويتزاورون سواء كانت المداين متقاربة فى الدنيا أو متباعدة قد تجتمع الأرواح مع تباعد المداين انتهى وقد ذكر ذلك الأئمة الحنفية فى كتبهم الفقهية وهو أنه يسن تحسين الكفن لأن الموتى يتفاخرون به ويتزاورون بل قال به جميع فقهاء المذاهب وفى هذا الباب آثار كثيرة وأخبار عجيبة غزيره إن أردتها فارجع إلى شرح الصدور للإمام الحافظ السيوطى فإنه جمع فأوعى.

علم الموتى بأحوال أهل الدنيا

من غير طريق عرض الأعمال قال ابن القيم فى كتاب الروح (فصل) وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلى على هذا فقال ذكر ما جاء أن الموتى يسئلون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم ثم ذكر بعد ورقة فقال صح عن عمرو بن دينار أنه قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم بما يكون فى أهله وأنهم يغسلونه ويكفنونه وأنه لينظر إليهم ثم بعد ورقة قال وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال الصعب لعوف أى أخى أينا مات قبل صاحبه فاليترايا له قال أو يكون ذلك قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النايم كأنه قد أتاه قال قلت أى أخى قال نعم قلت ما فعل الله بك [صفحه ۱۸] قال غفر لنا بعد المشارب ثم بعد كلام قال واعلم أى أخى أنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد إلا وقد لحق بى خبره حتى هرة ماتت لنا منذ أيام واعلم أن بنتى تموت إلى ستة أيام فاستو صوابها معروفا ثم كان كما أخبر ثم ذكر حديث ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وإتيانه لأحد من فى عسكر خالد ابن الوليد وقوله له إنى أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم إنى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله أى يرعى فى رسنه الطويل وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فقل له يأخذ درعى فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع كما وصف فأخذه وقال الحافظ السيوطى فى شرح الصدور.

تأذى الميت

بما يبلغه عن الأحياء أخرج الديلمى عن عايشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يؤذيه فى قبره ما يؤذيه فى بيته قال القرطبى فى التذكرة يجوز أن يكون الميت يبلغه من أفعال الأحياء وأقوالهم ما يؤذيه بلطيفة يحدثها الله تعالى له من ملك مبلغ أو علامة أو دليل وما شاء الله وقال ابن القيم فى كتاب الروح وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحى يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبر الميت بما لا يعلمه الحى فيصادف خبره كما أخبر فى الماضى والمستقبل وربما أخبره بمال دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته وأبلغ من هذا أنه أخبره بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا فى وقت كذا فيكون كما أخبر وربما أخبره عن أمور يقطع الحى أنه لم يكن يعرفها غيره وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقصة ثابت بن شماس إلى آخر ما قال وذكر السيوطى فى شرح الصدور عن محمد بن سيرين

رضى الله عنه قال ما أخبرك الميت بشيء فهو حق لأنه فى دار الحق فهو لا ينطق إلا بالحق انتهى وهذا من المجربات كما ذكره ابن القيم وغيره وهذا من باب كشف الغطاء واطلاعه على ذلك من لطافهٔ الروح فيعلم ذلك فى تلك الدار التى هى محل العلم من الله تعالى وأخرج الحاكم والبيهقى فى الدلايل عن سليمان قال دخلت على أم سلمهٔ وهى تبكى فقلت ما يبكيك قالت [صفحه ۱۹] رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام يبكى وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا ذكره السيوطى فى شرح الصدور وكذا الخطيب التبريزى فى مشكاهٔ المصابيح وأخرج ابن أبى الدنيا من طريق أبى بكر بن عياش عن حفار من بنى أسد قال كنت فى المقابر ليلهٔ إذ سمعت قائلا يقول من قبر يا عبد الله قال مالك يا جابر قال غدا تأتينا أمنا قال وما ينفعنا لا ـ تصل إلينا إن أبى قد غضب عليها وحلف أن لا يصلى عليها فلما كان من الغد جاءنى رجل فقال احفر لى هاهنا قبرا بين القبرين الذين سمعت منهما الكلام فقلت اسم هذا جابر واسم هذا عبد الله قال نعم فأخبرته بما سمعت قال نعم قد كنت حلفت أن لا أصلى عليها فلأكفرن عن يمينى ولاصلين عليها.

ما ورد من تصرف الموتى

باب ما ورد من تصرف الموتى وصدور أمور منهم بقدرهٔ الله تعالى قال الحافظ السيوطى فى كتابه المتقدم قال الحافظ بن حجر فى فتاواه أرواح المؤمنين فى عليين وأرواح الكفار فى سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوى لا يشبه الاتصال فى حياهٔ الدنيا بل أشبه شئ به حال النايم وإن كان هو أشد حالا من حال النايم اتصالا قال وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها فى عليين وسجين وبين ما نقله ابن عبد البر إنها عند أفنيهٔ قبورها قال ومع ذلك فهى مأذون لها فى التصرف وتأوى إلى محلها من عليين أو سجين قال وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالإتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الأجزاء انتهى قال السيوطى قلت ويؤيده ما ذكره من الإذن بالتصرف مع كون المقر فى عليين ما أخرجه ابن عساكر من طريق ابن إسحاق قال حدثنى الحسين ابن عبد الله ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد قتل جعفر لقد مر بى الليلهٔ جعفر يقتفى نفرا من الملائكهٔ له جناحان متخضبهٔ قوادمهما بالدم يريدون بيشه بلدا باليمن وأخرج ابن عدى من حديث على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرفت جعفر فى رفقهٔ من الملائكهٔ يبشرون أهل بيشهٔ بالمطر وأخرج الحاكم عن بن عباس قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالسا وأسماء بنت عميس قريبا منه إذ رد السلام وقال يا أسماء هذا جعفر مع جبرئيل وميكائيل مروا فسلموا علينا وأخبرنى أنه لقى المشركين يوم كذا ويوم كذا قال فأصبت فى جسدى من مقادمى ثلاثا [صفحه ۲۰] وسبعين من طعنهٔ وضربهٔ ثم أخذت اللواء بيدى اليمن فقطعت ثم أخذته بيدى اليسرى فقطعت فعوضنى الله من يدى جناحين أطير بهما مع جبرئيل وميكائيل أنزل من الجنهٔ حيث شئت وأكل من ثمارها ما شئت قالت أسماء هنيئا لجعفر ما رزقه الله من الخير لكنى أخاف أن لا يصدقنى الناس فأصعد المنبر فأخبر به الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن جعفر ابن أبى طالب مر مع جبرئيل وميكائيل عوضه الله من يديه جناحين فسلم على ثم أخبرهم بما أخبره به فهذه الأحاديث تدل على أن الله تعالى يأذن لعباده الشهداء وغيرهم من الصالحين فى بعض الأمور التى ينتفع بها الناس وفى هذا أثار كثيرهٔ ذكرها علماء الحديث عن السلف منها ما ذكره السيوطى قال أخرج ابن أبى الدنيا من طريق يزيد بن سعيد القرشى عن أبى عبد الله الشامى قال غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون أثر العدو فانفرد منهم رجلان قال أحدهما فبينا نحن كذلك إذ لقينا شيخ من الروم فقال ابرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعهٔ فقتل صاحبى فرجعت أريد أصحابى فبينا أنا راجع إذ قلت لنفسى ثكلتك أمك سبقنى صاحبى إلى الجنهٔ وارجع هاربا إلى أصحابى فرجعت إليه فضربته فأخطأته فحملنى وضرب بى الأرض وجلس على صدرى وتناول شيئا معه ليقتلنى به فجاء صاحبى المقتول فأخذ بشعر قفاه فألقاه عنى وأعاننى على قتله فقتلناه جميعا ولجعل صاحبى يمشى ويحدثنى حتى انتهينا إلى شجرهٔ فاضطجع مقتولا ـ كما كان فجئت إلى أصحابى فأخبرتهم وقد ذكر هذا الأثر الزندوسى صاحب روضهٔ الأخيار من الحنيفهٔ وصاحب زبدهٔ الفقهاء أيضا وأخرج المحاملى فى أماليه عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمه قال بينما رجل فى اندر له بالشام ومعه

زوجته وقد كان استشهد ابن لهما قبل ذلك بما شاء الله إذ رأى الرجل فارسا قد أقبل فقال لامرأته ابنى وابنك يا فلانه قالت له اخسأ الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وأنت مفتون فأقبل على عمله واستغفر ثم نظر ودنى الفارس فقال ابنك والله يا فلانة ونظرت وقالت هو والله فوقف عليها فقال له أبوه أليس قد استشهدت يا بنى قال بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفى هذه الساعة فاستأذن الشهداء ربهم فى شهوده فكنت منهم واستأذنته فى السلام عليكما ثم دعى إليهما وانصرف [صفحه ٢١] ووجد عمر قد توفى تلك الساعة قال السيوطى فهذه آثار مسندة خرجها أئمة الحديث بأسانيدهم فى كتبهم أوردتها تقوية لما حكاه اليافعى وتصديقا له انتهى وقد كان ذكر فى هذا الباب أشياء كثيرة من هذا النمط من أراد الاطلاع فليرجع إليه ثم قال قال اليافعى رؤية الموتى فى خير وشر نوع من الكشف يظهره الله بشرا أو موعظة أو لمصلحة للميت من إيصال خبر إليه وقضاء دين أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون فى النوم وهو الغالب وقد تكون فى اليقظة وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال وقال فى موضع آخر مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد فى بعض الأوقات من علين أو سجين إلى أجسادهم فى قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصا ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال ويختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم والعذاب ما دامت فى علين أو سجين وفى القبر يشترك الروح والجسد انتهى وقال ابن القيم فى كتاب الروح ومما ينبغى أن يعلم أن ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن دونها وأنت ترى أحكام الأرواح فى الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب الأرواح وكيفياتها وقواها وبطائها وإسراعها والمعاونة لها فللروح المطلقة من أسر البدن وعلايقه وعوايقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق بالله تعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علايق البدن وعوايقه فإذا كانت هكذا وهى المحبوسة فى بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت فى أصل شأنها روحا علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواترت الرؤيا من أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا يقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رؤى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى النوم قد هزمة أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم انتهى ويوافق هذه النقول من فسر قوله تعالى والمدبرات [صفحه ٢٢] أمرا بأرواح الكمل بعد المفارقة كما ذكر جملة من المفسرين منهم البيضاوى وتبعه على ذلك المحشون والله أعلم.

اطلاع بعض الأحياء عن حال اهل القبور

على حال أهل القبور من نعيم أو عذاب فرآه بعين رأسه أنموذجا لما أخبر الله تعالى ورسوله فرأوا الأجساد منعمه أو معذبه وقد اتفق أهل السنة والجماعة على نعيم القبر وعذابه وأنه حق يجب اعتقاده وأن النعيم والعذاب على الروح والبدن كما ذكر ذلك أهل علم العقايد ولا ينكر ذلك إلا المعتزلة والخوارج ثم ورد فى الأحاديث النبوية والآثار الصحابية والسلفية ونحن نذكر ما يقوى اعتقاد بعض الجهال ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم أما الأنبياء فقد قدمنا أنهم أحياء طريون فى قبورهم يصلون وورد فى الصحيحين أنهم يحجون وأما غيرهم فقد أخرج أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتا البنانى يقول لحميد الطويل هل بلغك أن أحدا يصلى فى قبره إلا الأنبياء قال لا قال ثابت اللهم إن أنت أعطيت لأحد أن يصلى فى قبره فأذن لثابت أن يصلى فى قبره وأخرج أيضا عن جبير قال أنا والله الذى لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البنانى لحده ومعى حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطة لبنة فإذا أنا به يصلى فى قبره وأخرج ابن جرير فى تهذيب الآثار وأبو نعيم عن إبراهيم بن الصامت المهلبى قال حدثنى الذين كانوا يمرون بالحاصف فى الأسحار قالوا كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البنانى سمعنا قراءة القرآن ومثله فى صفة الصفوة لابن الجوزى وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرء سورة الملك حتى

ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجى من عذاب القبر قال أبو القاسم السعدى فى كتاب الروح هذا تصديق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الميت يقرأ فى قبره فإن عبد الله يعنى ابن عمر وهو الذى ضرب خباه وسمع أو خبره بذلك وصدقه الرسول صلى الله عليه وسلم قال الحافظ زين الدين بن رجب فى كتاب أهوال القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعماله الصالحة فى البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب الانقطاع عمله بالموت لكن إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما [صفحه ۲۳] تتنعم بذلك الملائكة وأهل الخير فى الجنة لأن نفس الذكر والمناعة أعظم نعيما عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذتها فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى وطاعته ومثل ذلك ذكر ابن القيم فى كتاب الروح وابن تيمية وغيرهم والسيوطى فى شرح الصدور وروى أبو الحسن بن البراء فى كتاب الروضة عن عبد الله بن محمد بن منصور حدثنى إبراهيم الحفار قال حفرت قبرا فبدت لبنة فشممت رائحة المسك حين انفتحت اللبنة فإذا شيخ جالس فى قبره يقرأ القرآن وأخرج ابن منده عن عاصم السقطى قال حفرنا قبرا ببلخ فنفذ فى قبر فنظرت فإذا شيخ فى القبر متوجه إلى القبلة وعليه إزار أخضر واخضر ما حوله وفى حجره مصحف وهو يقرأ فيه ثم ذكر آثارا كثيرة مثل ذلك فى الكتاب المذكور وأخرج الحافظ أبو محمد الخلال فى كتابه كرامات الأولياء بسنده عن أبى يوسف الغسولى قال دخل على إبراهيم بن أدهم بالشام فقال لى لقد رأيت اليوم عجبا قلت وما ذاك قال وقفت على قبر من هذه المقابر فانشق لى عن شيخ خضيب فقال لى يا إبراهيم سل فإن الله أحيانى من أجلك قلت ما فعل الله بك قال لقيت الله بعمل قبيح فقال قد غفرت لك بثلاث لقيتنى وأنت تحب من أحب ولقيتنى وليس فى صدرك مثقال ذرة من شراب حرام ولقيتنى وأنت خضيب وأنا أستحى من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار قال والتأم القبر على الشيخ قال إبراهيم ويحك يا غسولى عامل الله يرك العجايب وفى صفة الصفوة لابن الجوزى فى ترجمة معاذة بسنده إلى أم الأسود بنت زيد العدوية وكانت معاذة قد أرضعتها قالت قالت لى معاذة لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدها والله يا بنية ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ولا لروح يشم ولكنى والله أحب البقاء لأتقرب إلى الله بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة قال محمد بن الحسين وحدثنا روح ابن سلمة الوراق قال سمعت عفيرة العابدة تقول بلغنى أن معاذة العدوية لما احتضرت للموت بكت ثم ضحكت فقيل لها ثم البكاء وثم الضحك قالت أما البكاء الذى رأيته فإنى والله ذكرت مفارقة الصيام والقيام والذكر فكان البكاء لذلك وأما الضحك فإنى نظرت إلى أبى الصهباء وقد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبها فضحكت [صفحه ۲۴] إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضا فأتت قبل أن تدرك الفريضة ومعاذة أدركت عايشه رضى الله عنها وروت عنها وروى عن معاذة الحسن البصرى وأبو قلابة ويزيد الرقاشى انتهى وأما رؤية العذاب لبعض الموتى فأخبر الله تعالى عن آل فرعون فقال النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع ولا بد أن يكون العذاب على الروح والجسد لأن الفاعل للكفر أو المعاصى إنما هو الرح والجسد فلا يمكن أن تعذب الروح وحدها بدونه لأنه غير لايق با الحكمة والعدالة الإلهية قال العلماء فالأجساد وإن رؤيت متفتة لبعض الناس فهى فى علم الله موجودة ونحن لا نشاهدها وقد رأى بعض الصحابة العذاب عيانا لبعض الموتى بأرواحهم وأجسادهم ليكون تصديقا لما أخبر الله ورسوله قال ابن القيم فى كتاب الروح والسيوطى فى شرح الصدور وابن رجب فى أهوال القبور عن ابن أبى الدنيا عن الشعبى أنه ذكر رجلا قال للنبى صل الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب فى الأرض ثم يفعل به ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل يعذب إلى يوم القيامة وذكر من حديث حماد بن سلمه عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال بينا أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محتب إداوة إذ مررت بمقبرة وإذا رجل خارج من قبره يلتهب نارا وفى عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله اسقنى يا عبد الله اسقنى فلا أدرى أعرف اسمى أم دعا بى كما يدعوا الناس قال فخرج آخر فقال يا عبد الله لا تسقه يا عبد الله لا تسقه ثم اجتذب السلسة فأعاده فى قبره قال ابن أبى الدنيا وحدثنى أبى حدثنا موسى بن داوود حدثنا حماد بن سلمه عن هشام بن عروة عن أبيه قال بينما هو راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا رجل قد خرج من قبره

يلتهب نارا مصفدا بالحديد فقال يا عبد الله انضح وخرج آخر يتلوه فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح وغشى على الراكب وعدلت به راحلته إلى العرج قال فأصبح وقد ابيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده ومثله روى فى زمن عمر رضى الله عنه وفى الباب آثار [صفحه ۲۵] كثيرة وفى هذا كفاية وهذا يدلك على أن أهل النار إذا خرجوا بأجسادهم على وجه الأرض ورأهم من رآهم يقضه جهارا فما المانع من ذلك فى حق أنبياء الله وأوليائه بقدرة الله تعالى فهذه بعض أحوال أهل القبور من ساير الناس فكيف بالأولياء والأنبياء فإذا علمت أن ساير الموتى أحياء حياة برزخية وأن الموت كما قال جملة من السلف هو نقلة من دار إلى دار وأن الأنبياء والأولياء المنقولين بسيف المجاهدة لله كالشهداء الوارد فيهم النص القرآنى فى حياتهم الحقيقية كيف يستغرب طلب التسبب منهم والتشفع والتوسل بدعائهم إلى ربهم أو كرامتهم عليه أو شفاعتهم عنده وهو وليهم فى الدنيا والآخرة ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم فهل إذا عامل أحد هؤلاء الذين هذا حالهم معاملة الأحياء يلام على ذلك أو يعاب أو يؤثم أو يكفر أو يشرك مع اعتقاده أن الفعل لله وحده خلقا وإيجادا لا شريك له وأنه يكون من أهل القبور من الأنبياء والأولياء تسببا وكسبا فهل ينكر ذلك إلا من جعلهم ترابا وعظاما وترك ما يجب لهم ويسند إليهم إكراما وإعظاما إلا جاهل بالشرع المحمدى فيحنئذ يقال لهذا المتعيلم الجاهل أحسن حالا منك فى معرفته بالشرع والمقصود من هذا أن تعلم الأحاديث الواردة فى الطلب من الموتى وأجمع عليها العلماء مبنى أمرها على هذا الأصل فإذا جادل فى هذه الأشياء بعض الأشقياء بعد إقامة هذه الأدلة فاتركه وشقائه وأحمد الله الذى رزقك الإيمان بما جاء عن سيد الأكوان وسلف أمته المتبعين له بإحسان وقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ولنذكر لك بعض الآيات الدالة على طلب الوسيلة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وقال فى الآية الأخرى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب فقد أمر الله تعالى بابتغاء الوسيلة وفسرها تعالى فى الآية الأخرى أعنى قوله إنهم يبتغون أيهم أقرب فيتوسلون به إلى الله تعالى وهو عام سواء كان التوسل بدعائه كما يقوله الخوارج أو بشفاعته أو بجاهه أو بكرامته أو بذاته ومن منع بالذات فقد افترى فإن التوسل بالذوات قد صرحت به الآيات وقد وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم به الأخبار [صفحه ۲۶]

فى قوله تعالى ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم

الصحيحات أما الآيات فمنها قوله تعالى ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فقد ذكر المفسرون وذكره البخارى أن الكفار استعجلوا العذاب فقال تعالى ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعنى حلول ذات النبى صلى الله عليه وسلم مانعة من نزول العذاب على الكفار ولا يمكن أن يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم نفعهم بجاهه ولا بدعائه ولا بشفاعته لأن هذه الأشياء لا تكون للكفار وقال بعض السلف فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون أن معناه ما كان ليعذبهم وفى أصلابهم من يستغفر يعنى من قدر الله أن يخرج من صلب الكافر من يستغفر وهو الذى مكتوب أنه يؤمن بالله بعد خروجه من صلب الكافر فجعل الله بقدرته وإرادته وجود النطف المؤمنة فى أصلاب الكفار أسبابا لدفع العذاب عنهم ومنها قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض قال المفسرون من السلف لولا أن يدفع الله بالمؤمن عن الكافر وبالطايع عن العاصى لفسدت الأرض فوجود ذوات هؤلاء مانعة من وجود الفساد وقال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ولا يخفى على مسلم أن السعادة للذوات لا للأعمال ولهذا ورد فى الحديث السعيد فى بطن أمه والشقى فى بطن أمه فليس للأعمال دخل فى السعادة إلا بحسب الدلالة ظاهرا لا حقيقة لقوله صلى الله عليه وسلم إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار وحتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وليس الدخول للعمل بل للدلالة كما صرح صلى الله عليه وسلم به فى قوله لن يدخل أحد الجنة بعمل قالوا حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته فدخول الجنة قطعا ليس بالأعمال بل بالسعادة السابقة الأزلية وهى بحسب الذوات فاصطفاء ذات نبينا صلى الله عليه وسلم وتفضيلها على جميع الرسل إنما هو باعتبار ذاته الشريفة كما لا يخفى على مؤمن وكذلك الرسل والأنبياء

والأولياء فالجاه وغيره إنما هو تبع للذات وليس الذات تابعة للجاه على أنا لو طالبنا المنكر اعتبار الذات بدليل واحد ولو ضعيفا لم يجد إلى ذلك سبيلا ـ فقول هذا المدعى غير معقول ولا ـ يمكن أن يذكر سببا فضلا عن دليل بل الأدلة المتوافرة المتواترة ناهضة على خلاف ما يدعيه أهل الدعاوى الباطلة ففى الحديث [صفحه ۲۷] الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال بتربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى بإذن ربنا مريضنا فيسن لكل أحد إذا رقى لمريض أن يأخذ من تراب أرضه ويمزجها بريقه ويسقيه للمريض فإنه يشفى بإذن الله تعالى ولا شك أن التراب والريق من الذوات ولا يعقل لها جاه أو دعاء أو شفاعة وفى الحديث الصحيح ماء زمزم لما شرب له فمن شرب من ماء زمزم لأى نية أرادها من خير دنيا أو آخره حصل له مقصوده كما هو مجرب ولا شك أن ماء زمزم ذات لا يعقل له وجاء ولا دعاء ولا شفاعة وكذا ورد فى الصحيح وأطبق عليه فقهاء الأمة أن الملتزم عند باب الكعبة من الصق بطنه به وتوسل به إلى الله لا يخيبه الله كما هو مجرب ولا يخفى أن الملتزم أحجار وهى ذات جعل الله لها هذه الخاصية وكذا تحت الميزاب وعند مقام إبراهيم وتقبيل الحجر الأسود والتمسح به والتوسل به هو ذات محض وهو أرجى الوسايل إلى الله لقبول المثقلين بالذنوب فكيف يكون لهذه الذوات خاصية يحصل بها المقصود للراجى ونحن إذا دعونا الله بجاه ذات نبينا لا يحصل لنا ولا يرضاه لنا أفيقال إن ذات تراب الأرض وريقة البعض وماء زمزم وأحجار الملتزم ومقام إبراهيم أى محل قدمه الأسعد والحجر الأسود جعل فيها الأسباب لجلب المنافع دون ذات نبينا التى خلقت من نوره فما هذه الخرافات من قائلها إلا جهالات ليت صاحبها استحى من الله ومن رسوله ومن الناس من قولها والتفوه بها وقد كان الصحابة الكرام يعظمون ذات نبينا صلى الله عليه وسلم أشد التعظيم كما فى حديث عروة بن مسعود الثقفى عند البخارى وغيره لما جاء إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية فرجع إلى قومه فقال أى قومى والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشى فما رأيت أحدا يعظم أحدا ما يعظم أصحاب محمد محمدا أنه لا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم ولا توضأ وضوءا إلا اقتتلوا على وضوئه يتبركون به ولا يحدون النظر إليه الحديث فانظر كيف تعظيم الصحابة لذاته بل للصادر من ذاته مما هو مستقذر بالنسبة لغير ذاته الشريفة أفيقال إن النخامة وماء الوضوء الذى يجرى على أعضائه الشريفة كانت تدعو أو نشفع أو لها جاه بل هى ذات تابعة لأشرف الذوات فانظر إلى هذه الجهالات الصادرة ممن يدعى الكمالات فيجعل ذات نبينا [صفحه ۲۸]

التوسل بآثار الأنبياء

كما اللات ويلزم على قوله إن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الذين فعلوا وأمروا بمشابهة الأصنام والعياذ بالله من لازم هؤلاء الطغام وفى الباب أحاديث دالة على التوسل بالآثار للأنبياء والأولياء الأخيار لا جواب عنها للخصماء الأشرار منها ما فى البخارى ومسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها وفى بعض حديثها فأخرجت لى جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها ومكفوفتان بالديباج فقالت فهذه كانت عند عايشة رضى الله عنها فلما قبضت قبضتها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها الحديث فانظر كيف يستشفون بها لكونها كانت ملبوسة لتلك الذات الحاوية لجميع الكمالات ومنها فى جمع الصحيحين للحميدى عن عبد الله ابن موهب قال أرسلنى أهلى إلى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم فكان إذا أصاب الإنسان عين أو شئ بعث بإناء إليها فخضخضت له فشرب منه فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمرا ومنها ما فى الجمع بين الصحيحين للحميدى عن سهل ابن سعد فى البردة التى استوهبها من النبى صلى الله عليه وسلم فلامه الصحابة على طلبها منه فقال إنما سألته إياها لتكون كفنى وفى رواية أبى غسان أنه قال رجوت بركتها حين لبسها النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أكفن بها وكان مراده يتسبب بها إلى الله فى قبره ليندفع عنه العذاب ببركتها وهى ذات لا يتصور فيها شئ سوى كونها من آثار تلك الذات وفى الصحيحين عن أم سليم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينام عندها فكانت تأخذ من عرقه الشريف فاستيقظ فقال ما تصنعين يا أم سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا فقال أصبت قال ابن ملك فى شرح المصابيح وفيه دليل على جواز التقرب إلى الله تعالى بآثار المشايخ والعلماء والصلحاء انتهى ومنها ما فى صحيح مسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى

الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بإناء إلا غمس يده الشريفة فيه قال ابن الجوزى فى كتابه بيان شكل الحديث إنما كانوا يطلبون بركته صلى الله عليه وسلم لهذا وينبغى للعالم إذا طلب العوام منه التبرك فى مثل هذا أن لا يخيب ظنونهم انتهى كلام الحافظ ابن الجوزى وفى كلام هذا العالم [صفحه ۲۹] العالم وفى كلام النووى فى شرح مسلم والقاضى عياض فى شرح مسلم وفى كلام العلامة ابن ملك الحنفى دليل على أن هذه الأمور ليست خاصية النبى صلى الله عليه وسلم كما زعمه بعض الخوارج ومنها ما رواه البخارى عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال لأن تكون شعرة عندى منه أحب إلى من الدنيا وما فيها ومنها ما فى البخارى أن أنس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن تدفن شعرات للنبى صلى الله عليه وسلم معه انتهى وما ذاك إلا ليتوجه إلى الله تعالى بها فى قبره وفى الشفاء فى فضل كراماته وبركاته صلى الله عليه وسلم قال وكانت شعرة فى قلنسوة خالد ابن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر أيرزق النصر خالد بذات شعره ولا يتوسل إلى الله بأصل ذاته صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قال البوصيرى ومن تكن برسول الله نصرته++ إن تلقه الأسد فى آجامها تجم ومنها ما فى الصحيحين عن ابن عباس أنه مر على قبرين فقال إنهما يعذبان فدعى بعسيب فشقه وجعل على كل قبر نصفا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا انتهى فقد شرع صلى الله عليه وسلم لأمته أن يجعلوا جريدة رطبة فى الذى يخاف عليه العذاب لأن للجريد خاصية أن الله يخفف عن صاحب القبر الذى هو فيه العذاب ولا شك أن الجريد ذات وليس هذا خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى يقال إن ارتفاع العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم بل أجمع العلماء على العمل به فى كل عصر أيجوز التسبب بجريد النخل وهو ذات ولا يجوز التوسل والتسبب بذات سيد الوجود فأى عقل لمن يمنع ذلك ويدخل نفسه الغيبة فى مضايق هذه المسالك وأدل دليل على أن الذات يتوسل ويتسبب بها أن هندا زوجة أبى سفيان أخذت قطعة من كبد حمزة رضى الله عنهما فاسترطتها فما لبثت فى بطنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حمزة أكرم على الله من أن يدخل جزء من بدنه النار وفى رواية لو لبثت لم تدخل النار أعظم من ذلك شرب مالك بن سنان دمه وقوله لن تصيبك النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر فعله وقد [صفحه ۳۰] روى نحو من هذا عنه فى المرأة التى شربت بوله فقال لها لن تشتكى وجع البطن أبدا وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما إخراجه فى الصحيح واسم هذه المرأة بركة ذكر ذلك جملة من العلماء منهم القاضى عياض فى الشفاء والقسطلانى فى المواهب اللدنية فيا أمة الدين أيكون الدم والبول والخارج من ذاته سببا لدفع النار عن شاربها وكذلك الوجع ويمتنع عن ذاته أن يتسبب ويتوسل بها إلى الله تعالى وهى من نور الله تعالى كما فى حديث جابر وغيره فمن منع التوسل بذات سيد المرسلين أهو من الأعداء له أم يعد من المسلمين فما هذه الشناعة يا أصحاب الصقاعة والرقاعة فى ذات صاحب الشفاعة ومن هو الرحمة بذاته للكفار فضلا عن الإسلام فضلا عن أهل السنة والجماعة فتأمل رحمك الله فى هذه الجملة ودع الجاهل وجهله فيتحقق لك أن آية ابتغاء الوسيلة عام فى الأعمال والأقوال والذوات بدليل هذه الأحاديث الصحيحة ومن الآيات الدالة على الطلب من المخلوق ولو ما لا يقدر عليه إلا الله إذا كان فى مقام الكرامة للأولياء قوله تعالى عن نبى الله سليمان يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين فطلب من الملأ وهم الجن والإنس وفيهم مردة الشياطين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال سليمان أريد أسرع من ذلك قال الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف ابن برخيا من الإنس وكان كاتب سليمان أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فأتى به فى هذه المدة القصيرة وكان العرش فى اليمن وسليمان فى الشام ومسيرة ما بينهما ثلاثة أشهر فأتى به من تحت الأرض وهو سرير مكلل بالجواهر والذهب فلم ينكسر منه شئ ولم يتخلخل فقد أجمع أهل العلم إن هذا من نوع الكرامة وهو الأمر الخارق للعادة يجريه الله على يد وليه وعبده الصالح والله تعالى ذكر فى كتابه ذلك فى مقام الافتخار لذلك الرجل الصالح ولم يعتب الله على سليمان ولم يقل له لم دعوت غيرى وأنا أقرب إليك من حبل الوريد وعبيدى غير قادرين على هذا الأمر الذى لا يقدر عليه غيرى وذلك لأن نبى الله سليمان ورسوله صلوات الله عليه يعلم أن ذلك من التماس الأسباب وهو من المشروع الذى أمر الله تعالى به [صفحه ۳۱]

الطلب من الرسول و الصلحاء نوع من الكرامة

وكذلك الطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من شهداء وصلحاء أمته إنما هو من نوع الكرامة والتسبب والفاعل الحقيقى فى ذلك هو الله تعالى وكرامة الأولياء داخلة فى فضايل الأنبياء لأنها بواسطتهم تكون للأولياء بسبب متابعتهم لذلك النبى صلى الله عليه وسلم ومن الآيات القرآنية الدالة على التوسل والتشفع بالمقربين لا سيما سيد المرسلين قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين اتفق المفسرون وأهل الحديث أنها نزلت فى يهود خيبر كانوا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم يحاربون أسدا وغطفان من مشركى العرب وكانوا يقولون اللهم بحق هذا النبى الذى تبعثه آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فينصرون فلما جاءهم الرسول ورأوه كفروا به عنادا وحسدا وقال ابن القيم فى كتابه بدايع الفوايد أن اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من العرب فى الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فيفتح لهم وينصرون عليهم فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم كفروا وجحدوا نبوته فاستفتاحهم به مع جحد نبوته مما لا يجتمعان فإن كان استفتاحهم به لأنه نبى كان جحد نبوته محالا ـ وإن كان جحد نبوته كما يزعمون حقا كان استفتاحهم به باطلا وهذا مما لا جواب لأعدائه عنه البتة انتهى وفى بعض حواشى البيضاوى نقلا عن السعد التفتازانى قال والأظهر أنهم كانوا يطلبون الفتح من الله عليهم متوسلين بذكره صلى الله عليه وسلم ويجعلون اسمه شفيعا انتهى ورأيت للعلامة الورع الزاهد تقى الدين الحصنى جعل الله بركات علومه من كل سوء حصنى كلاما لطيفا يكتب بماء العيون قال فى كتابه المولد النبوى ما نصه وإذا سمع المسلم ما اشتملت عليه أخلاقه الكريمة من حلمه وعفوه واحتماله عرف قدره عند الله فيتوسل به فى أموره ومهماته فإنه الشفيع المشفع والحبيب الذى إذا طلب منه شئ استشفاعا به أجيب ولا يمنع وقد أرشدك الله فى كتابه العزيز وألهم أصفيائه إلى ذلك بل توسل به أشد الناس عداوة له وللمؤمنين كما هو مذكور فى كتابه المبين فأجابهم إظهارا لتعظيم حبيبه سيد الأولين والآخرين قال ابن عباس كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعاذت اليهود بهذا الدعاء اللهم [صفحه ۳۲]

عن ابن عباس قالت اليهود اللهم بحق هذا النبى

إنا نسألك بحق هذا النبى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليهود غطفان فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أى يدعون بك يا محمد إلى قوله فلعنة الله على الكافرين فانظر أرشدك الله تعالى إلى هذا الشرف والمكانة له عند ربه كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ويعلم تعالى أنه يكون من أشد الناس عداوة له وإيذاء وكان ذلك قبل بروزه إلى الوجود فكيف وقد بعث رحمة للعالمين فمن منع التوسل به فقد أعلم الناس أنه أسوأ حالا من اليهود ونادى على نفسه بذلك ثم ذكر توسل آدم به وما ذكره المفسرون فى ذلك وأهل الحديث فتأمل فى حسن هذا الكلام وموقعه لتعلم حال من منع التوسل به وشقاءه حيث إن الله جعله دليلا على نبوته وملزما لا عدائه بالحجة البالغة فيه وقد بقى من آيات القرآن ما فيه دلالة على التوسل والتشفع مما ذكرناه فى غير هذا الكتاب (فصل) ولما كان ما يحصل من التوسل والتشفع بالأنبياء والأولياء إنما هو من طريق الكرامة مع كونهم متسببين فى دار برازخهم والكرامة لما أجمع عليها المسلمون من أهل السنة والجماعة وهى من واجب الاعتقاد على العباد وأصلها فى كتاب الله تعالى باتفاق أهل السنة وذلك طلب سليمان عليه السلام إحضار عرش بلقيس من سباء إلى الشام فى طرفة عين ولم يتخلخل منه شئ وهو من الجواهر والذهب وكان من أتى به آصف بن برخيا وهو ولى بلا شك وكذلك رزق مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وغير ذلك مما ذكره أهل عقايد كل مذهب من مذاهب أهل السنة وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن كرامات الأولياء من معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن المعجزة لما كانت فى الأنبياء المتبوعين بقيت آثارها فى التابعين الأحياء والميتين بل هى فى الأنبياء

والأولياء بعد الانتقال إلى دار البقاء أدل وأقوى على صدقهم وحقيقة دينهم وذلك أن النبى الحى والولى الحى قد يظن العدو الكافر والمنافق أن المعجزة والكرامة من تعملهم وتحيلهم وأما بعد الانتقال فلم تبق هذه الشبهة بوجه لعلم ذوى العقول أن هذا من محض خلق الله وقدرته [صفحه ٣٣] أجراه تعالى على يد نبيه أو وليه كرامة له بخرق العادة ثم إنما تنسب المعجزة أو الكرامة لنبى ظاهر أو ولى معلوم اتباعه للنبى المعصوم صلوات الله عليه وهؤلاء لا يمكن الشيطان أن يتصور بصورهم أما الأنبياء فمعلوم لمكان العصمة ولقوله تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وأما الأولياء فللإرث للأنبياء كما ورد فى سيدنا عمر وابن مسعود وغيرهما وأما قول الأوشى فى بدء الأمالى كرامات الولى بدار دنيا++ لها كون فهم أهل النوال فليس مما يتعلق به ذو فهم لأن مقصوده أن كرامات الأولياء ظهورها وكونها يكون بدار دنيا وهو كذلك لأن دار الآخرة ليست محل خلاف بيننا وبين المعتزلة لأنهم ينكرون وجود الكرامة فى الدنيا لأنها تشبه المعجزة من جبهة خرق العادة فيشتبه الولى بالنبى عندهم وأهل السنة والجماعة يثبتونها فى دار الدنيا ولا اشتباه لأن المعجزة إنما تكون من النبى مقرونة بالتحدى وهى ادعاء النبوة والولى لا يتحدى بل لو تحدى لخرج عن ولاية الله فقوله بدار دنيا متعلق بكون فيكون المعنى كرامات الولى لها كون بدار دنيا ثم فرع على ذلك قوله فهم أهل النوال يعنى أهل العطاء لمن يسألهم ويطلب منهم تشفعا وعديم الفهم ظن أن بدار دنيا حالا من الولى أى كرامات الولى حال كونه بدار دنيا لهم كون أى لها وجود ففهم عديم الفهم أن الولى إذا انتقل إلى الدار البرزخية لا يكون بدار دنيا فلا يكون له كرامة وهذا خطأ فإن العلماء الكمل كالنجارى الحنفى شارح بدء الأمالى والشيخ أحمد محشى الأشباه الحنفى فى رسالة له ذكرا ما ذكرته وقالوا بناء على فهم من فهم خلافه أن الولى ما دام لم يصل إلى الآخرة وهى ما بعد القيامة فهو بدار دنيا فتكون كراماته موجودة وهذا كله لإرخاء العنان وإلا فالواقع من كرامات الأولياء بعد موتهم شئ لا يحصى وأجمع عليه العلماء فلننقل لك ما هو ثابت بالسنة الصحيحة منها ما فى البخارى أن عاصما الصحابى كان عاهد الله فى الدنيا أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فلما قتلة الكفار أرادوا أن يأخذوا الشته فحماها الدبر أى الزنابير فما قدروا على الوصول إليه وهذه لا شك أنها كرامة من الله تعالى لهذا الولى بعد موته وكذلك حديث خبيب لما صلبه الكفار بعد قتله ذهب إليه بعض الصحابة [صفحه ٣٤] فأتاه ليلا فقطع حبل صلبه فسقط ولم يعلم ابن ذهب وكذلك الصحابى الذى استشهد وهو مجنب فغسلته الملائكة وهو حنظلة غسيل الملائكة وكل ذلك فى البخارى وفى المشكاة عن عايشة رضى الله عنها أنا لنتحدث أن النجاشى لا زال على قبره نور ساطع وقد قدمنا لك حديث جعفر بن أبى طالب وأنه بعد قتله ذهب لأهل بيشة يبشرهم بالمطر وكذلك غيره وحديث تكلم رأس الحسين رضى الله عنه وهو أنه كان أمام الرأس الشريف قارئ يقرأ سورة الكهف فقرأ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فقال الرأس قتلى وحملى أعجب من أهل الكهف وكذا قراءة نصر الخزاعى وهو مصلوب فإنه صلبه المأمون وأمر رجلا بيده رمح يحرفه عن القبلة فكان إذا جن الليل استدار إلى القبلة قال الراوى فسمعته يقول آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال فاقشعر جلدى إلى آخر الحديث وقد تقدم عن الحديث الذى فيه أن صاحب القبر قرأ سورة الملك حتى ختمها وكلها آثار صحيحة ذكرها أئمة الحديث وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن إسحاق بن الحريض عن المسيب بن واضح عن عيسى بن كيسان عمن حدثه عن عمير بن الحباب السلمى قال أسرت أنا وثمانية معى فى زمان بنى أمية فأدخلنا على ملك الروم فأمر بأصحابى فضربت رقابهم ثم إنى قدمت لضرب عنقى فقام إليه بعض البطارقة فلم يزل يقبل رأسه ورجليه حتى وهبنى له فانطلق بى إلى منزله فدعى ابنة له جميلة فقال لى هذه ابنتى أزوجك بها وأقاسمك مالى فادخل فى دينى فقلت ما أترك دينى لزوجة ولا لدنيا فمكث أياما يعرض على ذلك فدعتنى ابنته ذات ليلة إلى بستان لها فقالت ما يمنعك مما عرض عليك أبى فقلت ما أترك دينى لامرأة ولا لدنيا قالت فنحب المكث عندنا أو الالتحاق ببلادك فقلت الذهاب إلى بلادى قال فأرتنى نجما فى السماء وقالت سر على النجم بالليل واكمن بالنهار فإنه يلقيك إلى بلادك ثم زودتنى وانطلقت فسرت ثلاث ليال أسير بالليل وأكمن بالنهار فبينا أنا فى اليوم الرابع مكمن فإذا الخيل فقلت طلبت فأشرفوا على فإذا أنا بأصحابى المقتولين ومعهم آخرون على دواب شهب فقالوا عمير فقلت أوليس قد قتلتم قالوا بلى ولكن الله نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن [

صفحه ۳۵] عبد العزيز فقال لی بعض الذين معهم ناولنی يدک يا عمير فناولته يدی فأردفنی ثم سرنا يسيرا ثم قذف بی قذفة وقعت قرب منزلی بالجزيرة من غير أن يلحقنی شئ وذكر ابن الجوزی بسنده عن أبی علی البربری وهو أول من سكن طرسوس عن ثلاث إخوة من الشام كانوا يغزون فأسرهم الروم فجری عليهم كما جری علی عمير المتقدم ذكره فقتل اثنان وبقی الآخر ثم إن واحدا من كبار الروم تجعل ابنته تغويه فهداها الله وأسلمت وشردت هی وهو فبينما هما كامنان بالنهار إذ سمعا وقع خيل فإذا هو بأخويه المقتولين ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا له إن الله أرسلنا إليک لنشهد تزويجک بهذه الفتاة فزوجوه إياها ورجعوا وخرج إلی بلاد الشام فأقام معها وكانوا مشهورين بذلک معروفين بالشام فی الزمان الأول وهذا باب واسع فيه للسلف كتب مؤلفة ككتاب ابن أبی الدنيا فيمن عاش بعد الموت وكتابه فی كرامات الأولياء وكتاب القبور وكتاب أبی نعيم المسمی بالحلية وصفة الصفوة لابن الجوزی وعيون الحكايات له وغير ذلک فهذا من حيث النقل عن المحدثين وأهل الأثر وأما من العلماء من كل مذهب فأحسن من ذكر كرامات الأولياء بعد الموت ابن تيمية وابن القيم وأما إنكار بعض الحنفية طی المسافة من نوع الكرامة فقد رده أئمة الحنفية فی كتب الفقه وكتب العقايد بمسألة ما لو تزوج مغربی مشرقية فسافر عنها مدة بعيدة فحملت بعد غيبته بأكثر من مدة الحمل قالوا يلحق به النسب لاحتمال إتيانه إليها بطی المسافة من باب الكرامة وأطبق علی هذا الفقهاء كما فی الدار وغيره وكما فی كتب العقايد وذكره صاحب الوهبانية بأن طی المسافة من جملة الكرامات التی يجب اعتقادها وأنه نصره النسفی فهو المعول عليه فی هذه المطالب وأجمع عليه من بعده من الحنفية فی مصنفاتهم كما فی الفقه الأكبر والسواد الأعظم ووصية أبی يوسف للإمام الأعظم وفی شروح هذه الكتب وفی النسفية وشروحها وفی المواقف والمقاصد وشروحهما وغير ذلک من كتب الأئمة الحنفية وغيرهم كيف وقد وردت به الآية التی هی عمدة استدلال أهل السنة علی وجوب اعتقاد الكرامة وهی قصة إتيان عرش بلقيس من المكان البعيد فی طرفة عين فإن هذا من طی المسافة كما لا يخفی علی منصف وفی شرح السواد الأعظم المنسوب للإمام الأعظم رضی الله [صفحه ۳۶] عنه عبارة فی غاية الحسن واللطافة ناسب ذكرها هنا قال الثانية والثلاثون ما قلنا إنه ينبغی أن يقر بكرامة الأولياء لأن من أنكر كرامة الأولياء فهو مبتدع ومن أنكرها وهو يظن أن ذلک هدم معجزات الأنبياء فهذا لا يخرج عن أحد ثلاثة أحوال أما ينكر الآيات التی فی كتاب الله تعالی فمن أنكر الآيات فقد كفر وإن لم ينكر الآيات وآمن بها ولكن يقول كانوا أنبياء فقد كفر وإن لم ينكر الآيات ولم يقل كانوا أنبياء فقد صح عنده أن هذه كرامة الأولياء كانت لغير الأنبياء ويجوز ذلک لأن الله تعالی قال قال الذی عنده علم من الكتاب أنا آتيک به قبل أن يرتد إليک طرفک وكان آصف ابن برخيا من الأولياء ولم يكن نبيا وكان من أمة سليمان ابن داود فلم جاز أن يكون من أمة سليمان وله كرامة الأولياء وليس يجوز فی أمة محمد صلی الله عليه وسلم كرامة أولياء ومحمد أفضل من سليمان وأمة محمد أفضل من أمة سليمان فإن قال المخالف تلک الكرامة كانت من قبل سليمان نقول وهذه الكرامة كانت من قبل محمد صلی الله عليه وسلم وقوله تعالی وهزی إليک بجذع النخلة تساقط عليک رطبا جنيا فأخرج الله لها من الشجرة ثمرة لأجل مريم أكرمها بذلک ومريم لم تكن نبية وقوله تعالی كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنی لک هذا قالت هو من عند الله وكذلک قصة أهل الكهف فهی كرامة عظيمة أكرمهم الله بها ولم يكونوا أنبياء فلما جاز فی الأولين كرامة الأولياء ولا يجوز فی أمة محمد كرامة الأولياء وقد قال تعالی كنتم خير أمة أخرجت للناس فإن قال المخالف إن فلانا يذهب فی ليلة واحدة إلی بيت الله ويرجع هذا لا يكون أبدا قيل كأنک تقول لم تكن للنبی صلی الله عليه وسلم كرامة فلم يكرم بها أحد فإنه صلی الله عليه وسلم أسری به وعرج به إلی السماوات السبع وبلغ ما شاء الله ثم رجل فهل يكون كرامة أعظم من هذه وأيضا يقال للمخالف المؤمن خير أم الكافر فإنا وجدنا من يسير من الكفار فی ساعة واحدة من المشرق إلی المغرب وهو إبليس لعنه الله هذا وهو كافر فكيف لا يكون ذلک كرامة للأولياء فتأمل وأنصف وفی هذا القدر كفاية انتهی عبارة السواد الأعظم واعلم أن الذی ينكر كرامات الأولياء إنما هم الخوارج والمعتزلة والرافضة كما ذكره ابن تيمية وغيره لعدم وجودها عندهم لأنهم ليسوا من أهل الكرامة فلا كرامة لهم وصلی الله علی سيدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلم.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَی

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی"/بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهـذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.


للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹